العمران : في خلال ثمانين سنة

الانقلابات والاتجاهات العالمية الخطيرة

١٨٥١ — ١٩٣١

في سنة ١٨٥١ لم يكن احد قد قرأ تلغرافاً بحريًّا ، ولا رأى طيارة ، ولا سمع بفولاذ بسمر ، ولا تخاطب بالتلفون ، ولا خطر على باله أن يوم العمل يجب ان يكون ثماني ساعات ، ولا عرف ما هو البنزين ؛ ولا طرق سمعهُ مذهب النشوء والارتقاء . كان يعرف قابلاً عن الجراثيم ، ولكنهُ لم يكن قد سمع « بعبء الرجل الابيض » . كان يتحدث عن السلام ويستعدّ للحرب ، ولكنهُ لم يتصوّر حرباً يشترك فيها ستون مليوناً في حمل السلاح . لم يفكّر قط في الشؤون السياسية على انها شؤون اقتصادية ، ولا كان يتحدث في الرخاء على انهُ انتاج واسع النطاق حتى يعمّ العالم . فالسنون التي انقضت بين ١٨٥١ و ١٩٣١ كانت سنين حافلة بالحوادث الخطيرة . فهل نستطيع ان نجمع في طوائف مميزة اخطر هذه الانقلابات ونعيّن الاعلام التي مرَّ بها التاريخ العالميّ في هذه الحقبة ؟

ميدان السياسة

لدى البحث نتبين اربعة اتجاهات اساسية في ميدان السياسة . فاولها نحو القومية او الوطنية والثاني نحو التوسع الامبراطوري (الامبريالزم) والثالث نحو النظام العالمي والرابع نحو الديمقراطية

الروح القومية

كانت الوطنية من ثمانين سنة قوة كامنة في اوربا . فقد كانت ايطاليا حينئذٍ مجموعة من الممالك والولايات والدوقيات تسيطر عليها في الغالب الجيوش النمسوية وتستبدُّ بها السياسة النمسوية . وكانت المانيا اتحاداً مفكك الاوصال من ولايات مستقلة يحكمها ملوك مستقلون يغار كلٌّ منهم على استقلاله . اما تركيا فكانت تبسط ظلّها على جانب كبير من دول البلقان . واما بولونيا التي قطعت اوصالها في مؤتمر فينا ، للمرة الثانية ، فلم يكن لها وجود مستقلٌّ في خريطة العالم

في الثمانين السنة المنصرمة ، شهد التاريخ ، عوًّا عظيماً في الاتجاه نحو الاستقلال القومي ، في اوربا ، بل وفي سائر انحاء العالم . ففي الفترة الواقعة بين سنة ١٨٥١ و١٨٧١ اتحدت كل من دويلات المانيا وايطاليا على أثر حروب دامية . فصبحت كلٌّ منهما دولة متحدة مستقلة

وخرجت دول البلقان من غير الحروب امماً مستقلة وفازت بروسيا باستقلالها في الحرب الكبرى وعلى اثرها . وفي هذه الحرب نفسها تفككت الامبراطورية النمسوية المجرية الى الاجزاء القومية التي كانت تتألف منها

اما اليابان ، التي طرق الكومندور بري بابها سنة ١٨٥٣ ، فبلغت نموها وتقدمها على مثال متخذ من دول اوربا . ولم تلبث الاحزاب القومية التي تطالب بالاستقلال القومي حتى ظهرت في مختلف بلدان العالم ، في الصين بزعامة صن يت سن وفي الهند بقيادة غندي وفي تركيا تحت لواء مصطفى كمال . وكذلك في مصر وسوريا وغيرها من بلدان الشرق الادنى . اجل طرقك من ارلندا الى ايران ، ومن ايران الى انام ، فلا تلق بقعة واحدة من بقاع الارض لم تشهد في الثمانين السنة المنقضية انبثاق روح القومية فيها متجسماً طموحاً

التوسع الامبراطوري

وفي المدة عينها شهد التاريخ توسعاً امبراطورياً هو في الوقت نفسه نتيجة للروح القومية ونقض لها . ومن اغرب المفارقات في التاريخ الحديث ان تكون تلك الامم التي تراها اشد الامم تمسكاً باستقلالها ورعاية لقوميتها ، اكثرها عنتاً في ارهاق الشعوب الاخرى للخضوع لها

كان روح التوسع الاستعماري لا يزال في مهده ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر فندر من الدول الاوربية من كان له موطئ قدم في آسيا . اما افريقية فكانت بلاداً محجوبة بالاسرار والجهل ، الا مصر ، وبعض المستعمرات المنثورة على شاطئها الغربي والشرقي

كان في وسع بريطانيا ان تحتفظ بالممتلكات التي احتلتها في اثناء توسعها الاستعماري ولم تلبث ان اضافت اليها الهند وزيلندا الجديدة وستفافورة وهونغ كونغ . ولكن الدول الاخرى لم تكن حسنة الطالع في الاستعمار مثل بريطانيا . ففرنسا واسبانيا والبرتغال شهدت قبل منتصف القرن الماضي مستعمراتها الشاسعة في اميركا الشمالية والمتوسطة والجنوبية تتفلت من ايديها . حتى بريطانيا نفسها ، لم تكن تحس بدافع قوي يدفعها الى الاستعمار قبل سنة ١٨٥٠ ففي سنة ١٨٥٢ قال دزرائيلي « ان هذه المستعمرات البائسة حجر رحى في اعناقنا »

اما عصر التوسع الاستعماري الحديث فبدأ حوالي سنة ١٨٧٠ ولم يلبث أن احدث انقلاباً خطيراً في سياسات الدول وخريطة الدنيا . فروسيا اخذت تتوسع شرقاً وجنوباً في آسيا ، فاستولت استيلاء مباشراً او غير مباشر ، على منشوريا ومنغوليا وايران . والمانيا اختصت نفسها بارض مساحتها ١٠٠ الف ميل مربع في افريقية وجزائر الهند الشرقية . وفرنسا غزت تونس سنة ١٨٨١ وتونكين سنة ١٨٨٣ ثم اضافت الى امبراطوريتها الاستعمارية ٩٠ الف ميل مربع في آسيا و(٢٬٦٠٠٬٠٠٠) ميل مربع في افريقية في خلال نصف قرن من (١٨٧٠—

١٩٢٠ . وفي المدة عينها اضافت بريطانيا الى امبراطوريتها مساحة ٤٠٠٠٠٠٠ ميل مربع. ولم تنبت البلدان حتى اتتدت بنو قسطنطين من اوربا فضمت جزيرة قورصوسا وجانباً من مقدونيا وكوريا . اما في اعالم الجديد فاليابان والمتحدة الاميركية بعد ما نزعت من بلاد المكسيك اربعة من ولاياتها الغربية الخالية ، ضمت ممتلكاتها الاولى خارج بلادها سنة ١٨٩٨ لما ضمت جزائر هواي وارغمت اسبانيا على اخلاء بورتوريكو وغيرها وجزائر الفيليبين.

اما النتائج التي نتجت من هذه الرغبة في التوسع الاستعماري فاولاً ارتياد المناطق المجهولة وتخطيطها . وثانياً وقوع الخلاف بين الدول بسبب المستعمرات. فحروب العالم بين سنة ١٨٥١ — ١٨٨٠ كانت حروباً قومية في الغالب — الحرب الفرنسية النمسوية سنة ١٨٥٩ . والحرب الاهلية الاميركية سنة ١٨٦١ — ١٨٦٥ والحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ اما بعد سنة ١٨٨٠ فترى مبدأ التوسع الاستعماري قد أصبح عاملاً فعالاً في مجامع الدول واحداث الخلاف بينها . ولا سبيل للباحث الا ان يعزو الحرب الصينية اليابانية سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٥ والحرب الاسبانية الاميركية ١٨٩٨ وحرب البوير سنة ١٨٩٩ والحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ والحرب الكبرى الى النزعة الاستعمارية في دولة او طائفة من الدول

التنظيم العالمي

شهد التاريخ في السنين الواقعة بين (١٨٥١ — ١٩٣١) سلسلة من الحروب الدامية نشب معظمها لتعيين مسير النزعة الامبراطورية ؛ ولكنهُ شهد كذلك سلسلة من المحاولات لخلق قانون دولي ووضع اساس يقوم عليه صرح السلام العالمي

في سنة ١٨٥٦ امضت كل الدول البحرية الكبيرة — ما عدا الولايات المتحدة واسبانيا — تصريح باريس وغرضهم فيه ان يتعهدوا بالمحافظة على تجارة المحايدين في اثناء الحرب . وفي سنة ١٨٦٤ ، لما كانت الولايات المتحدة الاميركية في غمار حربها الاهلية ، امضت الدول الاوربية الكبيرة « عهد جنيف » الذي تأسست بموجبه « جمعية الصليب الاحمر الدولية » . وفي سنة ١٨٧٨ اجتمع مؤتمر برلين لمحاولة التوفيق بين مصالح روسيا وبريطانيا وامبراطورية النمسا والمجر في جنوب اوربا الشرقي (البلقان) فاصاب المؤتمر فلاحاً مؤقتاً . وفي سنة ١٨٨٤ ابرمت الولايات المتحدة « عهد جنيف » . وفي سنة ١٨٩٦ اجتمع مؤتمر السلم في لاهاي بدعوة من عاهل روسيا القيصر نقولا الثاني . وفي سنة ١٩٠٧ اجتمع ثانية بدعوة من الرئيس روزفلت فحضر جلساته ممثلو ٤٤ دولة . ومع ان المؤتمرين المذكورين جاءا في الوصول الى اتفاق على مسألة التسليح الا انهما اضافا تعديلات خطيرة الى القانون الدولي المعترف به حينئذٍ

وفي اثناء ذلك رأت حكومات الدول الكبيرة ان المصلحة العامة تقتضي بالتعاون الفعال

بينها لتمهيد سبل المواصلات والتجارة. فبين سنة ١٨٦٥ — ١٨٨٣ انشىء الاتحاد الدولي للبريد وانضمت اليه ستون امة . وامضت اثنتا عشرة دولة « عهد برن » للمحافظة على حقوق الطبع . وابرمت عشرون دولة عهداً آخر لتوحيد القوانين الخاصة بامتيازات المخترعين. وانشأت ثلاثون دولة الاتحاد التلغرافي الدولي

وعلى اساس هذه الخبرة في التعاون الدولي — سياسيًا واقتصاديًا — انشئت جمعية الامم بعد الحرب الكبرى . فانضم اليها ٥٤ دولة وقد بذلت معظم جهدها في حلّ المسألة المعقدة التي استعصى حلها على مؤتمري لاهاي — اعني مسألة التسليح وتحديده . ثم ان هناك تجربة اخرى في التنظيم الدولي ، تريد محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي التي انشئت على اثر اقتراح من الولايات المتحدة الاميركية بعد مؤتمر لاهاي الاول سنة ١٨٩٩ واحدث انتجارب من هذا القبيل بنك التعويضات الدولي في بال الذي انشىء لمراقبة التعويضات الالمانية ولفتح حسابات للدول الاوربية المدينة للولايات المتحدة الآن دستوره يأذن له في توسيع نطاق اعماله

الديمقراطية

كان ابناء الامم الخاضعة محترك التوسع الامبراطوري شديدي التردد والنفور من منح امتيازات الحكم الديمقراطي للشعوب التي يحكمونها . ولكنهم كانوا قد آلوا على انفسهم ان يفوزوا بهذه الامتيازات ويتمتعوا بها

من الطرق المألوفة في تتبع سير الديمقراطية وضع جدول بالرؤوس المتوجة التي سقطت في الميدان . واذا شئنا ان يشمل الجدول كل الممالك التي اصبحت جمهوريات من سنة ١٨٥١ الى الآن كان جدولاً طويلاً مملاً ولكنه على كل حال يشمل فرنسا وألمانيا وروميا والصين والبرازيل والنمسا والمجر واسبانيا . وهذا الجدول يشير الى الانقلاب الذي حصل ولكنه لا يقيس خطورته . ففي بعض البلدان — التي ما زالت ممالك الى الآن — تقدمت الديمقراطية من سنة ١٨٥١ تقدماً عظيماً يفوق تقدمها في بعض البلدان التي تخلت عن ملوكها وأصبحت جمهوريات . ففي انكلترا مثلاً سن البرلمان تشريعاً يقضي بحذف « الملكية » من مؤهلات الرجل لدخول مجلس النواب . وفي سنة ١٨٦٧ ضوعف نطاق الذين يحق لهم ان يقترعوا في الانتخابات العامة . وما زال نطاق الديمقراطية يتسع فيها حتى اصبحت الآن وكل الرجال والنساء فوق سن الحادية والعشرين لهم الحق في ان ينتخبوا وينتخبوا ، وحتى صار لمجلس النواب دون مجلس اللوردات السيطرة الفعلية على اخطر شؤون الدولة

وما تم في انكلترا — يمثل الى حد بعيد — ما تم في كل مملكة او جمهورية في الثمانين سنة الماضية . فاليابان التي كانت في منتصف القرن الماضي دولة على مثال الدول الاقطاعية في

القرون الوسطى . اصبحت ملكية دستورية سنة ١٨٣٠

وقد انبت الايمان بالديمقراطية في كل طبقات الشعب . وما زال نطاقه يتسع حتى انعقد الاخير . اذ قامت الحركة الفاشستية في ايطاليا والبلشفية في روسيا ، واذا البيازرة يرتابون في ان الديمقراطية تصلح نظاماً لعالم الغد . وان طرق الديمقراطية وبادئها جديرة بالاحتفاظ. في احدهما يحل الدكتاتور في الدولة محل المجلس الديمقراطي ، وفي الاخرى سيطرة العمال ، ولاستطيع الحكم عليهما الآن وقد مضى على تطبيقهما سنوات قد تحصى على اصابع اليدين

ميدان الاقتصاد

العلم والصناعة

اما في ميدان الاقتصاد فأخطر الحوادث التي تمت في خلال ثمانين سنة نشأت عن تقدم العلم وتطبيقه . كانت الثورة الصناعية قد قامت اوجها في منتصف القرن الماضي . كان وط قد استنبط الآلة البخارية سنة ١٧٦٩ ولكن لما افتتح المعرض العام في القصر البلوري بلندن سنة ١٨٥١ كانت الامم الغربية قد اخذت تستعمل — ولو كان الاستعمال ضيق النطاق — المغزل المدار بقوة بخارية والتلغراف ومكينة الخياطة والباخرة والقاطرة البخارية ورغم ذلك فمعظم الارتقاء في الناحية الآلية من العمران تم بعد سنة ١٨٥١ فكان أساس النهضة الصناعية الحديثة

حوالي سنة ١٨٥٠ استنبط بسمر (Bessemer) طريقة في صنع الفولاذ فكانت مفتتح عصر الفولاذ الحديث . وحوالي ١٨٦٠ استنبط نور القوس الكهربائي ، وطريقة الاتون المفتوح لصنع الحديد ، والحاصدة التي تربط الحزم من تلقاء ذاتها ، والآلة الكاتبة — تيب ريتر — والقرملة الهوائية ، والمحرات الفولاذي ، وطريقة طبع المنسوجات طبعاً متواصلاً ، وافتتاح المواصلات التلغرافية بين اوربا واميركا

وحوالي ١٨٧٠ استنبطت آلة الطار ، والتلفون ، والمصباح الكهربائي للاضاءة ، والتلغراف المزدوج ، وغيرها من آلات الفحن والزرع . وحوالي ١٨٨٠ استعمل المولد الكهربائي استعمالا تجاريًّا ، واستنبطت منضدة الحروف (الفينوتيب) ، واللاصقة الكهربائية وطريقة كهربائية لاستخراج الالومنيوم من تبره واستعماله في الصناعة ، واول السيارات المزعجة . أما في السنوات الحديثة فنجد كل الاكتشافات والمستنبطات التي جهزتنا بطرق المواصلات والمخاطبات الحديثة ومكنتنا من غزو الجواء

اما النتيجة المباشرة التي نتجت من هذا الارتقاء في تطبيق العلم فصنع آلات خالقة للثروة ، مبتدعة لوسائل رفاهة الحياة . وأثر ذلك منبث في الاتجاهات السياسية الاربعة التي اشرنا اليها . فانتشار الروح القومية في اميركا — وهي تكاد تكون قارة باسرها لسعتها —

يعزى الفضل فيه الى السكك الحديدية وبطيعة الصحف والتلفون والتلغراف وغيرها . اما النزعة الامبراطورية فنتجت من معامل تبحث عن مواد اولية واطعمة واسواق . وفي الوقت نفسه مكنت الثورة في طرق المواصلات الدول الاستعمارية الحديثة من المحافظة على اجزاء امبراطورياتها في وجه قوى تحاول ان تنثرها وتفرقها . ثم ان التقدم في وسائل المخاطبات والمواصلات قد حطم كل الحواجز التي تعزل كل امة عن جارتها ، ولذلك كان عاملاً فعالاً في توجيه الامم الى العناية بالتنظيم الدولي في سبيل السلام

تنظيم الاموال وتجمعها

اما الاتجاه الثاني الخطير في ميدان الاقتصاد فتنظيم رؤوس الاموال تنظيماً واسعاً لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ . وهذا الاتجاه جاء نتيجة منطقية للثورة الصناعية . فلما كان الانتاج قائماً في الغالب على الاساليب القديمة التي اساسها العامل اليدوي الفرد ، كان المعمل صغيراً . ودائرتهُ لا تتعدى منطقتهُ الضيقة . فلما ادخلت الآلات الحديثة ، اتسع نطاق المالك الصناعي باتساع نطاق الانتاج

وهذا الميل الى المُلك الصناعي المندمج[1] باد في كل ممالك الارض الصناعية ولكنهُ على اظهره في الولايات المتحدة الاميركية . ففي ربع القرن الواقع بين ١٨٥١ و ١٨٧٦ انشئت شركة ستندرد اويل وتركزت صناعة الطحن في مدينة منيابوليس وغيرها في غيرها وانشئت الشركات الضخمة في مختلف نواحي الصناعة

وبدلاً من معامل صغيرة منثورة هنا وهناك يتزاحم اصحابها على الفوز في السوق المحلي ، ظهرت شركات كبيرة منظمة ذات رؤوس اموال ضخمة تملك معامل عظيمة ومصادر للمواد في كل انحاء البلاد . ولما كان انشاء شركات ضخمة يقتضي اصدار سندات واسهم كثيرة ، اصبح للبنوك اثر كبير في ادارة الصناعات . وما تم في الولايات المتحدة الاميركية حدث في غيرها من البلدان التي اخذت باسباب الثورة الصناعية

وقد بلغ من اثر تنظيم الاموال هذا التنظيم الدقيق ان خلقت الحدود الجغرافية والسياسية من خطط المدولين ورؤساء الشركات . ففي اوربا شركات دولية غرضها تنظيم صناعة الفولاذ وما اليه في كل بلدان اوربا . وفي انكلترا شركات نظمت زراعة القطن في السودان وزراعة اشجار المطاط في ملقا . وفي أميركا شركات وافراد ارسلوا من اموالهم ١٥٠٠ بليون ريال (٣٠٠٠ مليون جنيه) لتثميرها في اوربا واسيا . وقد بلغ من شأن الشبكة التي بسطها رجال المال فوق الكرة العالمية ، ان ازمة في التعويضات الالمانية تقتضي في الحال اجتماع رجال المال من طوكيو ونيويورك ولندن وباريس للاشتراك في حلها

(١) الدمج (Incorporation) اي الشركات التي تدمج كلها في شركة واحدة كبيرة

تنظيم العمال

وتنظيم العمال اقل ظهوراً من تنظيم الاموال ولكنهُ ليس اقلَّ خطراً . ومعظم تاريخ العمال كقوة سياسية منظمة كتب بعد سنة ١٨٥٠ فؤتمر نقابات العمال البريطاني الذي عقد سنة ١٨٥٠ كان تجربة مضطربة ، فناضل زعماؤهُ نضالاً عنيفاً في سبيل الاعتراف بهِ ، وكان عدد الاعضاء الممثلين فيهِ مائة الف عامل . أما في اميركا فاتحاد العمال القومي السابق لـ«اتحاد العمال الاميركي» لم ينظم الاَّ سنة ١٨٦٦ وليس ثمة بلد على جانبي الاتلنتيكي نهض فيهِ مقام نقابات العمال قبل سنة ١٨٥٠ فوق أساس وامر مضطرب

ولكن هذه الحركة اتسعت وقويت في الثمانين السنة الاخيرة . فاتحاد نقابات العمال الدولي يبلغ عدد اعضائهِ ١٤ مليوناً من الرجال والنساء منضوين تحت نقاباتهم الخاصة في ٢٧ بلاداً . يضاف الى ذلك الاتحاد الاميركي وعدد اعضائهِ ثلاثة ملايين ، والحزب الشيوعي في روسيا ، ونقابات قوية للعمال في البلدان الصناعية في اميركا الجنوبية

وسبب هذا النمو في نقابات العمال زيادة اشتراكهم في ادارة الصناعات المختلفة ، ونمو شركات التعاون وانشاء بنوك خاصة للتوفير ، وتشريع خاص بالصحة العامة في المعامل

ومع ذلك ، يبدو كأن مجالس الأمم ، ومجالس ادارات الشركات لا تزال عاجزة عن منع الازمات الاقتصادية وما يسير معها في زيادة العمال العاطلين

ميدان الاجتماع

في خلال الثمانين السنة الماضية شهدنا ارتفاعاً مطَّرداً في مستوى المعيشة ، وتقليلاً لساعات العمل ، وظهور مشكلة الاستمتاع باوقات الفراغ ، وتداعي الجدران الثقافية الفاصلة بين الامم . فقال موجز لا يكفي لتعداد هذه التحولات ، دع عنك تحليلها وتقدير أثرها في جزء من مثال . واغا نستطيع ان نشير الى بعض التحولات التي كان لها أثر في عادات الناس ومعيشتهم

التعليم العام

في المقام الاول ، ليس علينا ، الاَّ ان ننظر الى منتصف القرن الماضي لكي ندرك التقدم الذي اصبناه في ميدان التعليم . ففي سنة ١٨٥١ كان البرلمان البريطاني ينفق اقل من مليون جنيه على المدارس العامة في كل البلاد . وهذا المبلغ جانب صغير مما تنفقهُ مدينة لندن وحدها على مدارسها الآن . وبلغ من تقصير امم اوربا في ميدان التعليم العام ان كارل ماركس جعلهُ من مبادئ « البيان الشيوعي » الذي اصدره حينئذٍ . اما الولايات المتحدة فلم يكن

فيها سوى ١٠٠ مدرسة عالية مع انها كانت تحصي ٣٠ مليوناً من النفوس

وفي خلال هذه المدة كثرت المدارس المجانية في كل الامم . وانشئت الجامعات والكليات واوقفت لها الاموال الطائلة من المصادر العامة والخاصة . وتعددت دور الكتب [1] . اما التعليم العلمي فقد كتب معظم تاريخه بعد سنة ١٨٥٠ ولا ننسى ان الصحافة نشرت امام ملايين من الناس صورة مضيئة ودقيقة الى حد كبير ، للعالم الذي نعيش فيه . وفتح الراديو مسالك جديدة لاذاعة الحقائق والآراء

وقد التبست مقاليد الزعامة في هذه النهضة التعليمية لدول الغرب التي اثرت بالصناعة . اما معظم الامم الشرقية ، الفقيرة بوجه عام ، والمحافظة على تقاليدها القديمة ، فظلت الى عهد قريب ، تحسب المعرفة امتيازاً للاقلين ، والاميّة تراثاً محترماً للاكثرين . وفي هذه الامم نشهد انقلاباً لا خطأً في وجهته ومعناه . فمن مصر الى الصين ، يروج الوطنيون لنشر التعليم العام كاساس للاستقلال والدمقراطية

مقام النساء الجديد

وثمّ تحول اجتماعي آخر تمّ في العهد المذكور — نعني مقام النساء . كان النساء قد بدأن في منتصف القرن الماضي السعي لمنحهن حقّ التصويت في غرب اوربا والولايات المتحدة الاميركية . ففي اجتماع عقدته النساء الاميركيات سنة ١٨٤٨ ، وضعن وثيقة استقلالهن وسلبن فيها منحهن حقوقاً وامتيازات سياسية واجتماعية كحقوق الرجال

اما الحقوق السياسية فكانت بطيئة التحقيق . لانهن لم يفزن بحق التصويت والانتخاب في اميركا وبريطانيا والمانيا والنمسا ومعظم الدول الجديدة في اوربا الوسطى الاّ في العقد الثاني من هذا القرن . ولكن الاعتراف بمكانتهن الاجتماعية جاء قبل ذلك

ففي الولايات المتحدة كانت الفتيات يتمتعن من الانتظام في الجامعات والكليات الاّ اقلها . ولكن في سنة ١٨٧٥ كانت طائفة كبيرة من جامعات الولايات (العامة) قد بدأت تجاربها في التعليم « المشترك » ثم تبعتها في ذلك الجامعات الخاصة . وفي سنة ١٨٦٩ حكمت النقابة الدولية الطبوغرافية بقبول النساء فيها على قدم المساواة مع الرجال . وفي سنة ١٨٧٠ بلغ عدد النساء الاميركيات المترزقات ١٥ في المائة من جميع المترزقين وفي سنة ١٩٠٠ بلغن ٢٠ في المائة . اما في السنوات الحديثة فقد وسعت النساء نطاق اعمالهن افراداً وجماعات في الحرف والصناعات المختلفة

وما تم للنساء الاميركيات تمّ بوجه عام للنساء الاوربيات — مع اختلاف ضئيل او كبير . حتى في الشرق حيث المحافظة على التقاليد اشدّ استحكاماً في النفوس ، كسبت النساء نصيباً

(١) كان في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٧٠ ست دور للكتب تحوي مجلداتها ٦٠٠ الف نسخة فقط

كبيراً من الاستقلال وطائفة كبيرة من الحقوق . ففي اليابان والصين ترى النساء المتعلمات ذوات مقام محترم في الصناعات المختلفة . اما في تركيا وبلاد العرب ومصر فالنساء المتعلمات يشتركن مع الرجال في الشؤون السياسية والاجتماعية ، اشتراكاً ينبغي لهُ ان يكمل في القرن التاسع عشر

تضرم الطب

ان قصة الطب الحديث من باستور الى لستر الى نفوشي الى بانتنغ تتبع حوادثها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٥١ و١٩٣١

لم يدخل لستر طريقة الجراحة المعقمة الا سنة ١٨٦٣ ولم يكشف باستور عن علاقة البكتريا بالمرض الا سنة ١٨٧٧ ولم يعزل كوخ باشلس الدرن الا سنة ١٨٩٢ . وقد جاء في اثر هؤلاء الرواد جيش من العلماء الممتازين يكشفون طرقاً جديدة للعلاج والوقاية . وبفضل هذا التقدم ، قضي على الحمى الصفراء في البلدان الموبوءة ، وخفض متوسط الوفيات بالسل ، وسيطرت المصالح الصحية في الحكومات على الطاعون الدملي ، والحمى التيفوسية والتيفوئيدية والدفثيريا والكوليرا ، والانكلستوما والملاريا . لقد جهزتنا العلوم الطبيعية بما يخفف الآلام ، ويطيل الحياة . فمتوسط الوفيات في الولايات المتحدة نقص من ١٩٫٨ في الالف الى ١٢ في الالف في خلال نصف قرن

آفاق مبهرة

ولست تجد في كل هذه الانقلابات شيئاً اعظم خطراً من الآفاق العقلية الجديدة التي نشأت عنها . واذا كانت السنون التي تلت سنة ١٨٥١ هي سني باستور ولستر ، وبسمارك وجاريبالدي ، وبسمر وركفلر وفورد ، فقد كانت كذلك هي السنين التي نشر فيها كتاب « اصل الانواع » لداروين و « الفلسفة التركيبية » لسبنسر ، واكتشاف رنتجن لاشعة اكس ، ومدام كوري للراديوم ، واذاعة اينشتين لنظرية النسبية

وفي خلال هذه السنين ، تتبع علماء الاحياء الحياة من منشإها ، ونفذ علماء الطبيعة الى الذرة ، وتغلغل علماء الجيولوجيا في طبقات الارض ، وبحث علماء النفس في طبيعة العقل الباطن ووصل علماء الفلك بعيون التلسكوبات الى « المدن النجمية » الكائنة من وراء المجرة . وبدلاً من الآراء المبنية على التحكم جعل الفلاسفة والعلماء يقترحون نظريات لا تلبث ان تتحول بارتقاء العلم واتساع نطاق البحث

الشقة من سنة ١٨٥١ الى ١٩٣١ طويلة وعرة . ولكن اين تقودنا الطرق التي نسير عليها فلا ريب في ان آفاق العقل الانساني آخذة في الاتساع